

الفصل الثاني

- اثر الخشية من الله .
- قوة الايمان .
- آثار الضمير الدينى .
- الضمير الدينى واثره فى اداء الواجب .
- الضمير الدينى واثره فى اتقان العمل .
- الضمير الدينى واثره فى توجيه الشباب .
- التدبير واثره فى المجتمع .
- الضمير الدينى واثره فى تكوين الأسرة كجماعة .
- الضمير الدينى واثره فى الاتحاد والشعور بالجماعة .

obeikandi.com

أثر الخشية من الله

الناس صنفان :

١ - إن الناس مهما أكثر عددهم واختلفت أجناسهم وصفاتهم يتنوعون إلى شوعين : نوع يصدر في معاملته لنفسه ولغيره عن رقابة نفسية بين جنبيه . وآية ذلك لا يؤدي نفسه ومن يحصل به من الناس ، إن أتى بعمل ماله أو لغيره . فإن كان عاملاً أو صاحب وظيفة أتقن عمله وأدى وظيفته بأمانة . وإن كان تاجراً حرص على نصيح من يتعامل معه . وإن كان ذا رسالة بين اثنين أو في جماعة تحرى قصد الخير ووجه الله في رسالته . فالعمل للمؤمن محل رضا للعامل والمتنفع به على السواء . والأمانة في أداء الوظيفة وسيلة لدفع الضرر عن المصلحة العامة . والإخلاص في نصيح التاجر للمتعامل معه إبعاده عن أمر الخديعة وتناجها النفسية والمادية . وتحرى قصد الخير في أداء الرسالة بين الناس تجنّب لهم عن احتكاك بعضهم ببعض .

التربية السليمة أساسها الخشية من الله :

هذه الرقابة النفسية الداخلية التي يصدر عنها الإنسان في أعماله ومعاملته للناس - قد تكون وليدة التربية السليمة والتوجيه الحسن ، كما قد تكون ثمرة الخشية من الله تعالى . ولكنها إذا كانت ثمرة الخشية من الله تعالى ونتيجة لتقوى الله فإنها تكون أفضل في النفس وأبقى على الأحوال كلها . لأن صاحب التربية السليمة والتوجيه الحسن قد تنقلب على عادته طبيعته الإنسانية الأولى ، أو يسيطر على هذه العادات في بعض أحواله . شوره القوى بتحقيق مصالحه ومنافعه الخاصة على حساب ما اعتاد من عمل متقن أو أمانة في أداء وظيفته أو إخلاص في النصيح في تجارته أو نحو الخير في رسالته بين أهله ومواطنيه ، فلا يؤدي عمله حينئذ كما كان يؤديه .

أما ذلك الذى يراقب الله ويخشاه سرّاً وهلاية فمن العسير أن يتخلف عمله
درج عليه فى معاملته لنفسه وغيره . لأن عظمة الله التى استقرت فى نفسه ومناجاته
هذه العظمة فى سلواته الخمس كل يوم : لا تدع له مجالاً للتغيير فى تصرفاته .

إن الإيمان بالله واليوم الآخر، وإقامة الصلاة : عاملان أساسيان فى إيقاظ معنى
الخشية من الله فى نفس المؤمن . وقبلما يدانى التوجيه الإنسانى هذه الخشية من الله فى
قوة التأثير على عمل الإنسان : سواء فى كنهه أو نوعه . وهيهات أن يبقى هذا
التوجيه على حاله من القوة مثل ما تبقى الخشية من الله ويطول أجلها ، وليس فى
حالتها الأولى فحسب ، بل ربما يصير أمرها إلى أن تمتدحض آثارها وتناجها إلى الخير .

٢ — أما النوع الثانى من الناس فهو ذلك الذى يصدر فى معاملته لنفسه
ولغيره عن معنى الاستهتار والاستخفاف . لا يهيمه فى عمله أو فى أداء رسالته على
العموم إلا أن يقتصص أكبر ربح مادى ، أو يحقق أبلغ لذة تهويه من وراء ما يأتى
به من عمل أو تصرف . بل ربما يرى فى إلحاق الضرر بنفسه أو بغيره لذة ومتمعة .
وقد يتخذ من إضرار نفسه أو غيره حافزاً على العمل الذى يأتى به . فالعامل
أو الصانع الذى يستخف بقيمة العمل فلا يجيده ، والموظف الذى يستهين برسالته
عن طريق وظيفته فى حياة الجماعة فلا يخلص فى أدائها ، وكذا أمثالها فيما يأتون به
من عمل فى ميادين أخرى فى الحياة — هؤلاء يضررون أنفسهم ويضررون غيرهم
بسبب استهتارهم واستخفافهم بما يسى بالمسؤولية الإنسانية .

هذا الصنف من الناس ، وهو المستخف المستهتر — هو مصدر الفساد أو
الضرر فى الجماعة . وتقويمه لا يسكون من طريق فرض الرقابة الخارجية عليه
وحدها ، أو من طريق التقنين الوضعى فحسب ، أو عن طريق أمثال هذه الوسائل
الإنسانية . بل قبل ذلك يجب أن يكون للتضيق الدينى مكانه بين وسائل تقويمهم
هذا الصنف للمستهتر من الناس .

والضمير الدينى لا تؤثر فى تكوينه العظة الدينية وحدها، ولا ما يقبى من المعارف الأخلاقية ويشرح من القصص التهذيبى للناشئة فى مراحل الدراسة المختلفة. وإنما المنزل.. وإنما سلوك الأسرة هو صاحب التأثير الأول فى ذلك. والوالدة قبل الوالد هى إما صاحبة الفضل على ولدها وعلى وطنها بالتلى، أو مصدر العناية عليهما معاً.

٣ - والصوم فى رمضان وسيلة من وسائل تربية الضمير الدينى، وأمانة قوية على وجود الخشية من الله فى نفس الصائم. فالله فى قوته وجبروته وفى رحمته وعدل جزائه يتمثل للصائم فى كل لحظة من لحظات صومه. وأوضح ما يتجلى له فى حال الأزمات النفسية التى تعترضه وقت إمساكه ولأجل شهوة يذنية.

٤ - هل نريد أن نتجح فى كل خطوة من خطواتنا فى الحياة؟ هل نحرص على أن نوفر لأنفسنا الطمأنينة ولوطننا الرفعة؟ إذا كنا نريد ونحرص على ذلك فعلينا أن نخشى الله ونراقبه دائماً فى أفعالنا وأعمالنا.

إنى لأعجب! كيف يلوم الفاشل فى الحياة: القدر ويحمّله مسؤولية فشله؟ وأعجب كذلك كيف تلوم الأمة المستعمرة الاستعمار وتنسب إليه التخلف فى جوانب حياتها الاقتصادية، والثقافية، والأخلاقية، والصحية...؟

إن فشل الإنسان فى حياته يرجع إلى نوع عمله فى الحياة. وليس هناك عمل مشر منتج فى الحياة إلا وقد صدر عن خشية الله فيه.

وإن انحطاط الشعوب فى مستواها فى الحياة يعود أكثر ما يعود إلى ضعف نفوس الأفراد. وما ضعفت نفوس آمنت بالله واتقته حق تقاه. وما استعمرت أمم وثقت بالله واتجهت إليه فى مصائرهما وراقبته فى أعمالها.

قوة الايمان

عن أنس رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان :

١ - ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ،

٢ - وان يحب المرء لا يحبه الا الله ،

٣ - وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار » -

(أ) فإن إيمان المرء بالله جل جلاله ورسوله صلى الله عليه وسلم إذا وصل به إلى أن يفضلهما على غيرها في الوجود .. إلى أن يفضلهما على نفسه وولده وماله وزينة الدنيا ومفاخرها ، وذلك بأن يؤثر طاعتها على طاعة غيرها وبالأخص على طاعة نفسه ، ويقدم العمل بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يوحى به هوى نفسه - إذا وصلت درجة إيمان المرء بالله ورسوله إلى هذا الحد فإنه لاشك مدرك لثة روحية في إيمانه هذا ، وفيما يأتي به من عمل نتيجة لهذا الإيمان . وهذه الحال النفسية للمؤمن لاتعرض إلا لمن قوى إيمانه بما آمن به حتى يملك عليه نفسه . فصاحب الإيمان القوى لاتتحكم ذاته عادة في تصرفاته ، وائس لها في نفسه كيان مستقل يحرص على استقلاله ، بل قوة إيمانه تدفعه إلى أن يكون مستجيباً لما آمن به . وعندئذ يكون سروره النفسى لا في أغراضه الخاصة التى توحى بها ذاته ، بل في سلوكه طريق العمل الذى حدده له إيمانه .

إن المؤمن القوى ، وهو الذى يحب الله ورسوله أكثر من حبه لما سواهما ، يتجلى حبه لهما على هذا النحو فى أن تكون عنده كلمة الله دائماً هى العليا ، سواء فى الاعتقاد والعمل . وهو بهذا قوة منتجة فى الحياة ، وهو مع هذا صاحب النفس الطامئة الراضية فى هذه الحياة الدنيا .

وكلمة الله هي التي تتمثل في أوامره ونواهيه ، وهي السبيل لخير الناس جميعاً ،
لأخيراً أفراد معينين ولا لطائفة دون أخرى .

(ب) وإذا وصل إيمان المؤمن كذلك إلى أنه إذا أحب غيره لله حباً خالصاً
دون أن يكون لذات المرء المحبوب أو لأنفسه أولاً ينتظر ويترقب منه أثر في
هذا الحب - كانت هذه الحال عنده أيضاً أمانة من أمارات تمتعه بالإيمان ،
ودليلاً من وجه آخر على أن الإيمان - وحده لا غيره - هو الذي يملأ فراغ
قلبه ونفسه .

وحب الإنسان غيره لله إنما يتمحض لله وحده إذا كان المحبوب نفسه مؤثراً لله
ورسوله على كل ما عداها في الوجود : عمله لله ووفق ما جاء به رسوله الكريم .
فهو حب في واقع الأمر لله ورسوله ، ومظهر من مظاهر الإيمان القوي بهما .

(ج) والمؤمن كذلك إذا كرهه أن يعود في الكفر كما يكرهه أن يقذف في
النار - كان ذلك منه أيضاً دليلاً على قوة إيمانه بالله وبرسوله : إذ الكفر يمثل
الفساد في جوانب الحياة الإنسانية المختلفة ، في العقيدة والسلوك والعمل . والإيمان
بالله ورسوله يمثل من جانب آخر حياة الطهر والنقاء والعمل الصالح لخير الفرد
وجماعته . وإذا تعاقب المؤمن بهذه الحياة النقية الصالحة وتمسك بالبقاء فيها ، وكرهه أن
يعود إلى اللون الآخر من الحياة وهو اللون القاتم الذي يشوه جمال العقل البشري
ويسئ إلى الإنسان في حياته الخاصة والعامة ، ويحمل منه مثلاً آخر للحيوان في
تصرفاته .. يكرهه أن يعود إلى هذا اللون كما يكرهه أن يرمى به في النار - كان
ذلك آية أخرى على أنه متذوق حلاوة الإيمان ، وراغب فيما آمن به رغبة أكيدة
أساسها الطمأنينة النفسية لما صدق به . والطمأنينة النفسية تكاد تكون هي سعادة
الإنسان ومصدر مسراته الحقيقية .

وهذا الحديث النبوى الكريم يريد أن يوضح لنا حالة من حالات الايمان بالله جل وعلا برسوله صلوات الله عليه وسلامه ، ويكشف عن مرتبة عليا من مراتبه ، وهى : تعلق المؤمن بالمثل العليا والقيم الرفيعة فى هذا الوجود ، وهى تلك التى يمثلها الوعى الإلهى وتحدد رسالته عليه أفضل الصلاة والسلام . فهى كل شىء ، وليس وراءها شىء آخر فى نظره : ليس أمامه إلا الله ورسوله ، يجبهما دون سواهما ، ولو أحب إنساناً آخر فله وفى سبيل الله ، لا يرضى بديلاً آخر عنهما ، بل ليكره كرهاً شديداً أن يتحول عنهما إلى ما كان عليه فى ماضيه .

ومن غير شك ، هذه المرتبة من الايمان مطلوبة لصالح الجماعة وصالح الأفراد . ومن سعادة الجماعة وسعادة الأفراد ألا يدركوا فحسب فرقاً بين حياة الفساد والعبث وحياة الجد والخير والمثل العليا ، وألا يؤمنوا فقط بهذا الفرق وينحازوا بالنية والتصد إلى جانب الحياة الثانية ، بل الخير فى أن يتعلقوا بهذه الحياة الجديدة الثانية ، وأن يكرهوا كرهاً شديداً أن يعودوا إلى حياتهم السابقة ، وهى الحياة العائبة الفاسدة الرذولة . الخير كل الخير فى أن تطيب نفوسهم بهذه الحياة الجديدة وهى الحياة النظيفة النقية بعد إيمانهم بها . ولا تطيب نفوسهم إلا إذا كانوا أقوياء الايمان بها ، حريصين عليها متمسكين بما فيها من مثل وقيم ومبادئ ، ضاربين بسلوهم الشخصى : المثل لهذه القيم والمبادئ .

آثار الضمير الديني

عن عمر رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قول : « ان من عباد الله ناساً ما هم بانبياء ولا شهداء ، يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى ، قالوا يا رسول الله فخبّرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ولا أموال يتماطونها ، فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور ، لا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس ، . ثم تلا قوله تعالى : أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

هذا الحديث الشريف يصور حال المؤمن الذى امتلأ قلبه بالإيمان بالله حتى لا يصدر فى فعل من أفعاله إلا عن هذا الإيمان بالله ، ولا يتجه فى سلوكه أو معاملاته إلا لله . إن أحب فى سبيل الله ، لالعلاقة نسب أو قرابة ، وإذا ارتبط بصلة مع غيره كان باعها الله ، ولم يكن مبعثها أموال أو منافع دنيوية يتبادلها معه . إنه بقوة إيمانه ، ولا متلاء قلبه بالإيمان مشرق الوجه وصافى الطبيعة حتى ليبدو من شدة إشراقه وصفائه أنه نور نفسه . إنه لقوة إيمانه لا يخاف إذ خاف الناس ، ولا يحزن إذا حزن الناس ، لأن إيمانه بالله يدفعه إلى أن يعتقد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه . ولأن إيمانه بالله يجعله غير حريص على ما فى يده نفسه أكثر من حرصه على ما فى يدي الله .

حال هذا المؤمن هى حال يغبطه عليها الأنبياء والشهداء . لأن مكانه من الله سبحانه مكان المقرب منه ، المرضى عنه ، المكرم فى جناته .

نوعان من الناس :

نرى فى حياتنا ، وفى معاملة بعضنا بعضاً نوعين من الناس :

(أ) نوع يشعر فى قرارة نفسه بأن فوقه قوة عليها هى الله سبحانه وتعالى

تدين الكون كله، وتحدد مصائر الناس في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة، هي قوة مرهوبة الجانب، ومع ذلك هي موضع أمل الانسان في دنياه وآخرته لأنه يذكر قوله تعالى: «ويحذركم الله نفسه، وإلى الله المصير»^(١).. «واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه، واعلموا أن الله غفور حلیم»^(٢).. «ورحمتي وضعت لكل شيء فسأكتبها للذين يتقون، ويؤنون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون»^(٣).. «وخافون إن كنتم مؤمنين»..

موقف هذا النوع من اللولى جلت قدرته أن يكون في فعله ومعاملاته متأثراً بهذا الشعور العميق في نفسه. فعله ومعاملاته تأتي طبقاً للأوامر والنواهي التي تتكون منها رسالة الله للمصطفى صلى الله عليه وسلم: يخشى ربه فلا يقدم على إساءة لنفسه وغيره، ويؤمل في عدل الله ورحمته إن أحسن لنفسه وغيره.

(ب) ونوع آخر يقابل هذا النوع تماماً، وعلى الضد منه في شعوره النفسى: لا يعترف بقوة الخالق، ولا يداخل نفسه إحساس بوجوده وعظمته، ولا ينطوى قلبه على أثر من آثار الإيمان بالله. يقر بدنياه فقط، وبوجوده الذى يعيش فيه، وتصور له نفسه أنه هو وحده صاحب الأمر فيه، وليس هناك معقب على تصرفه ولا رقيب على سلوكه، ولا مجاز على فعله. إن تصرف فعلى حسب ما بهوى، وإن فعل فتتفيزاً لما يريد. ويسخر بالقول أو بالفعل من الحديث عن الدار الآخرة وما يقع فيها من بعث وجزاء. وينظر نظرة المستخف إلى من يذكر له حقوق الآخرين في جماعته، وحرمت الآخرين في أموالهم وأعراضهم.. وفضائل السلوك والأخلاق.

صاحب الشعور الأول تكون في نفسه ضمير دينى أو وعى دينى ويقظة قلبية.

(٢) البقرة : ٢٢٥

(١) آل عمران : ٢٨

(٣) الأعراف : ١٥٦

أى إحساس دينى داخل يدفعه إلى العمل حسبما جاء فى رسالة الله سبحانه وتعالى . من أوامر ونواهى . هذا الإنسان هو صاحب الضمير الدينى . استقر فى نفسه الإيمان بالله واستقرت فيها الخشية منه ، والأمل فيه ، وانطبع ذلك فى تصرفاته وأفعاله ، وسلوكه على العموم . آمن بالله فخشيه وأمل فيه ، لا يضطرب بعد ذلك ولا ينزعج فى حياته ، لأنه لم يعد لديه سبيل للاضطراب . خشيته من الله نتيجة عدم الانحراف فى الاعتقاد والعمل ، وأمله فى الله سبب دفعه إلى المثابرة والسير فى الحياة ، دون أن تسكون للأحداث التى تصيبه أمراً سلبياً على مثابرة وسيره . إنه الآن صاحب نفس راضية مطمئة .

أما ذلك الإنسان الذى لم يحاط قلبه بإيمان بالله ، فتولى عن ذكر الله ، ولم يرد إلا الحياة الدنيا — هذا الإنسان فقد الضمير الدينى .

إن فعل ذكر فيما يفعله نفسه فقط ونسى ربه ، ومن يذكر نفسه وينسى ربه فيما يفعل ينسى الناس جميعاً كذلك . لأن الله فيما يأمر ينسى مصلحة الناس كافة . وحتماً من ينسى الله ينسى أوامره ونواهيه . هـ الإنسان خلت نفسه من تلك القوة الدافعة الموجهة له فى حياته طبقاً للرسالة الإلهية ، واستبدت به قوة أخرى فى التوجيه ، هى قوة النفس الخاصة . وهى عند ذلك النفس الأمارة بالسوء . لأنها تدفعه إلى ما يحصل لها المتعة والترويح ، ولو دلى حساب الآخرين : فى أبدانهم ، أو أموالهم ، أو حرمانهم ، أو أعراضهم . والنسمة التى يذنبون إذن يقوم على الإيمان بالله ، والخشية ، والأمل فيه .

أما آثار هذا على العموم فهى :

- ١ — الرضاء والاطمئنان بما يقع من أحداث فى : يظ الإنسان .
- ٢ — ومحاسبة الإنسان نفسه بالعمل . وهذه المحاسبة يترتب عليها إتقان العمل

من جانب ، وأداء ما يجب على الإنسان أداؤه - دون رقابة خارجية - من جانب آخر .

٣ - وعدم اليأس عند الصدمات ، والاستمرار في السير في الحياة بروح الأمل المشرقة .

٤ - ثم عدم تهيب الحياة ، وعدم الخوف من أخطارها .
إن هذه الآثار بدورها هي عوامل النجاح في الحياة ، في كل طور من أطوار حياة الإنسان ، وفي كل طبقة من طبقات الجماعة ، لأنها عوامل القوة . والقوة سر النجاح في الحياة دائماً .

إن الذي لا يزعج بالأزمات قوى ،

والذي لا يخاف مخاطرة الحياة قوى ،

والذي يؤدي الواجب عليه من ذاته قوى على هوى نفسه وأمام غيره :

إن الشباب في حاجة إلى تكوين الضمير الديني وإيقاظه في نفسه حتى يقوى على دفع الأخطار التي تواجهه في مرحلة المراهقة ، وهي أخطار كثيراً ما يقع الشباب تحت تأثيرها ، وينزعون إلى السلبية الهدامة في حياتهم . لم يتخلف باحث همسى ولا تربوى عن الإقرار بأن التدين في حياة المراهق كفيلاً بتوجيهه التوجيه الصحيح : في مدرسته ، وفي سلوكه الشخصي والجماعي ..

إن العامل في حاجة إلى تكوين الضمير الديني وإيقاظه في نفسه حتى يساهم مساهمة إيجابية في إنتاجه سواء في مقدار هذا الانتاج أو نوعه . وليس هناك وراء الضمير الديني في حياة العامل ما يحفز على إتقان العمل ، وأداء الواجب دون رقابة عليه من غيره ، أكثر من هذا الضمير . قد تكون للدربة أثر ، وقد يكون للوعي القومي أثر ، ولكن هذا الضمير عامل مستمر لا ينقطع في أن يتقن العامل عمله ويؤدي واجبه ، دون انتظار لتفتيش عليه .

إن حارس الوطن لسكى لا يتهيب أخطار الدفاع عن الوطن ورد الاعتداء عليه -
في حاجة إلى أن يكون عنده هذا الضمير الدينى ، فهو عدته الروحية بجانب
هتاده اللادى .

إن الجهاز الحكومى لا يثمر ثمرة الإيجابية إلا إذا كان القائمون به من
الموظفين يخشون الله فى أعمالهم ، ويؤملون فى جزائمه الأخرى على ماتحملوا من
صعابٍ أو لاقوا من مشقة فى سبيل مواطنيهم وأمتهم .

لاستطيع المعرفة ولا الثقافة ولا تستطيع المدرسة ولا تجارب الحياة وحدها : أن
تزود الإنسان بقوة تكفل له النجاح فى حياته ، وحياة جماعته مثل ماتكفل له
هذه القوة الضمير الدينى الذى أساسه الإيمان بالله والخشية منه ، والأمل فيه - إنه
هو الذى يحول علاقة الناس بعضهم ببعض إلى محبة خالصة لا تقوم على أرحام
بينهم ولا على أموال يتعاطونها ، وأنه هو الذى يجنبهم الخوف إذا خاف الناس ،
والحزن إذا حزن الناس . وذلك مالم تصل إليه ثقافة ولا توجيه إنسانى بد .

الضمير الديني وأثره في أداء الواجب

صنع المعروف يجلب طمانينة النفس :

روى على بن الحسين عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اصنع المعروف في اهله وفي غير اهله فان اصبحت اهله فهو اهله وان لم تصب اهله فانت من اهله » .

يطلب هذا الحديث النبوي الشريف من آمن بالله ورسوله أن يصنع المعروف وهو ما يجب أدائه - حباً في ذات المعروف لا لإرضاء لمن يصنع له ولا ترقباً لجزائهم وثنائهم . لأن صانع المعروف على هذا النحو كافيه اطمئنان نفسه بما صنع . فهو مطمئن النفس إن أصاب عمله هذا من يستحقه ، ومطمئن النفس إن أصاب هذا العمل من لا يستحقه . لأنه عندئذ قد أرضى ضميره ودل على أنه نفسه من أهل المعروف : « فإن أصبت أهله فهو أهله ، وإن لم تصب أهله فانت من أهله » . ففي كلتا الحالتين هو مطمئن النفس مستريح الضمير لما قام به من أداء المعروف والواجب لذات المعروف والواجب . ثم هو بعد ذلك له الجزاء الأوفى في آخرته . « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّأَ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » (١) .. والذي يصنع الواجب غير مراعاة الناس من يستحقه منهم ، ومن لا يستحقه : قد راعى الله فيما صنع وتحكم في هوى نفسه وشهوته .

الحياة واجبات وحقوق متبادلة :

إذ الواجب هو ما يجب على الإنسان أن يعمله نحو نفسه ، أو نحو غيره : فالجار عليه واجب نحو جاره . والعامل عليه واجب نحو صاحب العمل ، وصاحب المال

عليه واجب نحو العامل . والتاجر عليه واجب نحو عميله ، والعميل عليه واجب نحو تاجره . والمعلم عليه واجب نحو تلاميذه ، والتلاميذ عليهم واجب نحو معلمهم . والموظف عليه واجب نحو جمهور الناس ، وجمهور الناس عليه واجب نحو الموظف . والآباء عليهم واجب نحو أبنائهم ، والأبناء عليهم واجب نحو آبائهم . وذوو الأرحام عليهم واجب نحو أرحامهم . والمواطنون عليهم واجب نحو وطنهم وأمتهم . والمؤمنون جميعاً عليهم واجب نحو خاقهم وخالق الكل .

هذه كلها واجبات لكل واجب منها حدود ومعالم . وكما ترجع إلى واجب الإنسان نحو نفسه وغيره . وإذا سلك فيها الإنسان ما رسمه الإسلام في رسالته ، وجعله هداية للمؤمنين : يكون قد أدى الواجب نحو نفسه ، ونحو غيره ونحو خالته .

الواجب دائرته الصالح العام :

أما حدود الواجب فهي حدود الصالح العام : من يتلمس حدود الصالح العام في تصرفه نحو نفسه يكون قد تلمس حدود الواجب ، ومن يتتقى الصالح العام في سلوكه مع غيره يسكون قد ابتغى أداء الواجب . ولهذا قد يتعارض الواجب مع المنفعة الشخصية : يتعارض البذل في سبيل المجموع مع حرص النفس على المال لهدف شخصي . وتعارض العفة والعفاف مع الرغبة في تحصيل المنفعة الخاصة . ويتعارض إظهار الغير مع الأثرة الذاتية . وتعارض التضحية في سبيل الوطن مع الحرص على الحياة الفردية .

وأداء الواجب يقوم على تحمل المشقة دائماً في سبيل أدائه . وكما زادت المشقة في سبيل أدائه كلما كان أثر هذا الواجب في تحقيق الصالح العام أوسع وأوضح .

أداء الواجب ليس هو أداء العمل من أى نوع ، وعلى أى نحو . أداء

الواجب هو أداء عمل معين ، هو أداء ذلك العمل الذى يسكون له أثره فى خير المجموع وخدمة الغير :

إن ترققت بالضعيف أديت واجباً ،

وإن منعت الإيذاء والضرر عن الجار أديت واجباً ،

وإن راعيت حق من لك به صلة فى العمل أديت واجباً ،

وإن منعت الخداع فى معاملة من تتبع له وتشتري منه أديت واجباً ،

وإن منعت عن نفسك الضرر ولم تسترسل فيما تهوى أديت واجباً ،

وإن صنعت كل ذلك وخشيت الله فيه أديت واجباً هو واجبك نحو الله .

الواجب أن تعمل لترضى الله وترضى ضميرك كإنسان مساهم فى خير الجماعة .

الواجب أن ترقب الله فى أدائك إياه .

وليس من أداء الواجب أن تامل فى ظل رقابة الغير ، أو فى سبيل هوى

النفس .

الواجب والضمير الدينى :

وصاحب الضمير الدينى - وهو من يرقب الله فى العمل - يستغنى إذن عن

إشراف الغير عليه ، ويستغنى كذلك عن مغالبة هوى نفسه وشهواتها فى أداء

ما يجب عليه إداؤه ، سواء نحو نفسه أو غيره . لأنه انتقل فيما يعمل من خشية

للناس إلى خشية الله ، ومن رضاء نفسه إلى رضاء الله . والله دائم معه ، فالخشية

منه باقية ، والرغبة فى إرضائه متوفرة ومستمرة .

الواجب والحياة الواقعية :

وقد يرى بعض الناس أن أداء الواجب يتطلب حرمان النفس من بعض

للمنافع الخاصة أو بعض المتع الشخصية . والواجب لذلك أمر مثالى فى نظره . وأولى

بالإنسان - في نظره - أن يكون واقصياً يستمتع بالحياة ما وسعه الاستمتاع بها ، ويستغل فرصها ما أمكده استغلالها، ويؤدي من العمل ما يتكافأ مع الأجر الذي يتناوله: فلا غرضاً على المدرس في فصله ، والطبيب في مستشفاه ، والموظف في مكتبه ، والعامل مصنعه أو حقله: أن يؤدي من العمل ما يبرر به فقط انتسابه إلى الوظيفة التي يؤجر عليها، طالما لا يكافأ عليها في سعة حسب تقديره . وسواء بعد ذلك أمر عمله الذي أداه أم لم يثمر ، وسواء اقترب به من الصالح العام أم لم يقترب . سواء تنققت التلاميذ أم لم يتتقوا ، وصحت المرضى أم لم يصحوا ، ونجح صاحب العمل أم لم ينجح ، وقضيت مصالح الناس في دواوين الحكومة أم لم تقض .

صاحب هذا الرأي يبيح للناس أن يكونوا واقصيين ، على معنى أن يرهوا مصالحهم الشخصية فحسب ، يلتقطون المنفعة من هنا وهناك كما تلتقط الطيور حبات الأكل التي توجد في مجالها الذي تتحرك فيه ، غير سائلة عن من يملك هذه الحبات إن كانت لصاحبها أم لسواه ، وعماً إذا كان لها أن تأكل منها أو تتركها .

صاحب هذا الرأي ينزل بالإنسان درجة دونه ، بدلاً من أن يحافظ على أن يبقى إنساناً ، ويتطور كإنسان ، ويصل إلى ذلك الخلق الذي تميز عما عداه بقوة الإدراك ، وبإمكان الفصل في الحياة بين نافع وضار وإحسان وإساءة .

مستوى الأمة مرتبط ببدء الواجب :

وعلى أداء الواجب وحده يتوقف ارتفاع مستوى الأمة في حياتها : يتوقف عليه ارتفاع مستواها في الخلق ، وفي المعرفة ، وفي الفن ، وفي الحضارة ، وفي المعيشة .

إذ معنى كل إنسان في الأمة يؤدي واجبه : أن هناك إنتاجاً وأن هناك تقدماً مستمراً في الإنتاج . معنى ذلك أيضاً أن هناك تضحية في سبيل المجموع ، وأن هناك عملاً يبذل في سبيل الصالح العام . معنى ذلك أخيراً أن الشعور بالمجموع أصبح (م ١٥ - الاسلام)

أقوى من الشعور بنفس للفرد ، وأن حاجة المجموع أصبحت تعلو حاجة الفرد الخاصة .

لم تتقدم أمة من الأمم ولم تسد في مجالات الحياة كلها في شيء إلا كان تقدمها ، وكانت سيادتها رهناً بأداء أفرادها الواجب . كان المسلمون أصحاب سيادة ، وقوة يوم أن كانوا يدركون الواجب ويؤدونه بنفس مطمئنة .

ولاسيلاً لأداء الواجب بنفس مطمئنة إلا إذا سبقه بنفس الإنسان شعور بالخشية من الله وقيام ضمير ديني :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخافنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً » ...

الضمير الديني وأثره في إتقان العمل

يروى عن الرسول ﷺ : « ان الله يحب من احدمم اذا عمل عملا ان يتقنه » .

ينصح الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يتقن الإنسان عمله إذا باشر عملاً من الأعمال . ويبدى هذه النصيحة في صورة أن ذلك محبوب لله ، ومما يتقرب به العبد لربه . لأن ما يحبه الله ويرضاه إذا أتى به المرء تقرب به إلى الله جل جلاله .

كل عمل يبائسره الإنسان مطلوب منه أن يتقنه ، إذا حرص الإنسان على رضا الله وقبول الله لعمله :

١ - في العبادة مطلوب من الإنسان أن يؤديها على نحو يكفل الهدف المرجو منها . فتأدية الصلاة مثلاً ليست تأدية الركوع والسجود على الوجه المعروف . بل لا تؤدي إلا إذا أتمرت البعد عن الفحشاء والمنكر : « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ » .. ولهذا يروى مسلم عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه يقول : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : حبل نتكئ عليه ... قال : حلوه ! ليصل احدكم نشاطه فاذا كسل او فتر قعد » . ويروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « اذا قام احدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع » .

فحرص الرسول عليه الصلاة والسلام أن تؤدي الصلاة في وقت نشاط الإنسان ويقظته حتى يكون على ذكر من الله إذا وقف بين يديه ، وأعان عن عدم رضائه عن تأديتها

في حال كسل الإنسان أو غفوته . لأن تأديتها عندئذ لا تحقق الغاية منها .
وفي الصدقة لا تؤدي في أية صورة ما ، بل في صورة واحدة وهي أن يشعر
المتصدق عليه بأن صاحب الصدقة قد حفظ عليه كرامته كإنسان فلم يؤذِهِ عندما
تصدق عليه بنظرة الصغار والاحترار إليه ، أو بنأي القول أو نحو ذلك : « قَوْلٌ
مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى ^(١) » . وعندما أوصى
رسول الله ﷺ بأن يد الإنسان اليسرى لا ينبغي أن تعلم ما أعطته يده اليمنى قصد
إلى إخفاء أمر الصدقة وعدم إشعار الإنسان المتصدق نفسه بأنه تصدق حتى يحفظ
على المتصدق عليه آدميته وإنسانيته . هذا مثل في إتقان العمل في العبادة .

٢ - وفي الصناعة مطلوب من الصانع إذا كان حريصاً على رضا الله ومحبته
أن يتقن عمله فيما يصنع ، يعنى بنوعه وجودته قبل العناية بكمه وكثرتة . إذ إتقانه
وسيلة لترويج ما يصنع ، وأبقى على دوام العمل ان يعمل .

٣ - وفي التجارة مطلوب من التاجر كالتاجر أن يتقن عمله ، وليس ذلك
بأن يقوم بالمبادلة على أية صورة ، بل على الصورة التي ينفي فيها الخداع والمكر
السيء .

٤ - وفي التثقيف ، وفي التطبيب .. إلى غير ذلك من الأعمال : مطلوب من
الثقف والطبيب والموجه والمرشد أن يتقن كل منهم عمله بأن يقوم به على نحو
يحقق فائدته . يتقن للمعرفة ، ويطبب للتداوى ، ويوجه للتنوير والارشاد . ولا يتم
ذلك كله إلا إذا عمل المثقف على إلهام من يتقنه ، والطبيب على إتقانه من يرضه ،
والموجه على هداية من يوجهه .

إتقان العمل في جملته يقوم على نفي الخداع في المعاملة ، ووسيلة لترويج
ما يصنع أو ينتج إنتاجاً مادياً ، وطريق لإيجابية العمل إن كان يتصل بالقيم والتوجيه
الإنسائي .

إن الإسلام إذ يعنى بإتقان العمل ويدعو إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ،
ويفرق القرآن بين عمل مشر وعمل غير مشر في مثل قوله تعالى : « أَفَنُيْمِشِي
مُكِبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ ، أَمْ نُنِيْمِشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١) » ..
الإسلام إذ يعنى بذلك : يعنى بنوع العمل قبل كنه ، وبجودته قبل كثرته ،
وبإيجابيته وثمرته في الحياة قبل ضخامته :

« يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها . قالوا : أمن
بقلة نحن يارسول الله ؟ قال : لا ، بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل » .
فارسول عليه الصلاة والسلام يرى قوة الأمة في نوعها : في تربيتها .. في
توجيهها .. في صحة أبدان أبنائها .. وفي سلامة تربيتهم وتوجيههم . ولم ير هذه
القوة في ، كنها وعددها ، وكثرتها .

إتقان العمل من المباشرة له أمانة على رشده وصحة فهمه للحياة . والإسلام يقصد
بالحث على إتقان العمل أن يدل الناس على الرشد الإنسانى وصحة فهم الحياة :
الطفل ، وليس الرشيد هو الذى يفرح بالكثرة ، لأنه لم يعرف بعد قيمة النوع
والجودة .

إن إتقان العمل يساوى الصدق في القول . كلاهما يبعد الخداع وكلاهما يوصل
إلى النجاح الدائم ، وكلاهما أمانة الإنسان المهذب الرشيد .
أما الذى يراقب الله في العمل ويخشى جزاءه في الآخرة ، ويرغب في لقائه
والتنعم برضاه بعد البعث - فله من مراقبة الله وخشيته والرغبة في لقائه دافع إلى
إتقان العمل بالإضافة إلى الجسد في قيمة إنتاجه . لأنه على ذكر دائماً من أحاديث
الرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك . وما ذكره الله في كتابه الكريم .

صاحب الضمير الدينى إذن مدفوع من ضميره إلى إتقان العمل وإجاده .

الضمير الديني وأثره في توجيه الشباب

يروى عن سعد بن هشام أنه قال: دخلت على عائشة رضی الله عنها فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت بلى، قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن.

إن الإنسان منذ ولادته إلى شيخوخته له أطوار ثلاثة:

(أ) طور الطفولة المبكرة والمتأخرة، وهو من الولادة إلى سن الثانية عشرة.

(ب) وطور الشباب أو المراهقة، وهو من الثالثة عشرة إلى العشرين أو بعدها بقليل.

(ج) وطور الرشد الإنساني، وهو من سن الحادية والعشرين إلى الشيخوخة.

وطور الشباب إذن هو المرحلة الوسطى بين طفولة الإنسان من جانب ورشده العقلي والنفسى من جانب آخر. هو مرحلة الانتقال التي ينتقل فيها الإنسان الصغير إلى حال الإنسان الكبير. ولأن الشباب يمثل المرحلة الوسطى، أو لأنه هو يمثل مرحلة الانتقال: كان تصرف الشباب يهبر مرة عن تصرف الطفل، ومرة أخرى ينسم بطابع تصرف الرشيد. تصرف الشباب خليط، ليس هو بتصرف الطفل على الإطلاق، ولا بتصرف الرشيد على الإطلاق.

يريد أن يكون إنساناً كبيراً. فالذكر الشاب يريد أن يكون رجلاً في مشيته، وفي حديثه، وفي مظهره، وفي علاقته بغيره، وفي تمييزه عن أمانيه. والأنثى الشابة تريد أن تكون امرأة في زينتها ومظهرها، وفي حديثها مع أخيها أو أبيها في الأسرة، وفي صلاتها بواجبها وفي رفضها كل ما يقلل من شأنها كمرأة مكتملة.

ومع ذلك فالشباب ذكرا أو أنثى سريع البكاء ، كثير التذلل ، شديد الحب لنفسه ، حريص على اللعب على نحو ما يلعب الأطفال ، كثير الضحك ، قليل الجد .

الشباب يود أن يكون كبيراً ، ولكنه يأتي بما يأتي به الأطفال من تصرفات .
الشباب يود أن يسير إلى الأمام نحو الرشد ، ولكنه قد يدفع إلى أن يرجع إلى الوراء نحو الطفولة .

ومن هنا كانت مرحلة الشباب مرحلة معقدة ، وكان دور الموجه إياه دوراً ليس من السهل القيام به وليس من السهل تأديته حق الأداء .
والتوجيه السليم للشباب هو التوجيه الذي يسير به إلى الأمام نحو الرشد ونحو الإنسان الكبير ، ويحميه من النكسة والرجوع إلى الوراء : نحو الطفولة في دورها المتأخر أو المبكر .

والضمير الديني في مرحلة الشباب عامل رئيسي في دفع الشباب نحو الأمام .
وفي خالق شخصية الإنسان الرشيد فيه ، وفي إيماده عن أن يبقى طفلاً في عقله ونفسه ، وخلقته ، وسلوكه ، وأن يعيش كما يعيش الأطفال في دور الطفولة الطبيعي .

الضمير الديني سيوجه الشباب نحو الله ، نحو الوجود الكامل في قدرته مالك السموات والأرض ، مدبر الأمر كله . سيوجه الشباب إلى رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم وما فيها من هداية تصور الطريق المستقيم للإنسان في حياته .

وإذ يتوجه الشاب إلى الله تعالى يتوجه في واقع الأمر نحو مثل أعلى في الوجود . وعندئذ يتصور الحياة على أنها ليست اللعب ، والدلال ، أو البكاء ، والضحك ومطابقة النفس وشهوتها ، بل على أنها طريق إلى السمو ، وأنها سبيل إلى رضا الله الخالق القادر .

وإذ يتوجه الشاب إلى رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم يتجه إليها: لاعلى أنها شئ يحفظ وينتقل، أو شئ يستمتع به على نحو ما يستمتع بكتاب رفيع في أدبه وأسلوبه، بل على أنها تحديد عملي للسبيل إلى الله وإلى رضائه.

رسالة الإسلام هي رسالة الإنسان الرشيد، هي الرسالة التي تنقل الإنسان اجتماعياً من طفولته العقلية إلى الرشد النفسى والنضوج العقلى والروحى :
« وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (١) » :

يصلى لكى يكون دائماً على ذكر الله تعالى فيتعهد عما يكره الله لعبده وما لا يحب أن يكون بين عباده . ويؤدى بقية الفرائض من صوم وزكاة وغيرها ، كى يحول بين نفسه وبين أن تتحول إلى الطفولة وتعود للسير فى مجالها . فالصوم لا يؤديه إلا من قدر على ضبط نفسه وتحكم فى هواه ، وذلك شأن الرشيد من الإنسان . والزكاة لا يعطيها إلا من وقف ضد طغيان الأنانية فى نفسه . وذلك أيضاً شأن الرشيد من الإنسان . أما الطفل من الإنسان فأخص صفاته أنه لا يستطيع أن يكبح جماح نفسه ، كما لا يستطيع أن يحد من جسده وسيطرة هواه على كل تصرف يأتى به .

إن الضمير الدينى هو الذى يدفع الشاب ذكراً كان أو أنثى إلى معرفة مثل الأعلى فى الحياة ، وإلى الجد فيها ، وإلى التخلص من صفات الطفولة الإنسانية وعدم النكسة إلى الوراء .

تحاول المدرسة الحديثة أن تعوض الشباب عن تكوين الضمير الدينى عنده،

بقراءة تاريخ العطاء والأبطال، ومعرفة آداب السلوك وأخلاق الإنسان المهذب .
ولسكنها إذ تحاول ذلك تحاول في واقع الأمر أن تضع هذا الشباب أمام شيء
محدود العظمة وهم رجال التاريخ ، وأمام آداب وأخلاق هي من صنع الإنسان
الذي من شأنه أن يختلف على نفسه وفي رأيه ، ولا يستطيع الحياد فيما يرسمه
ويقرره .

وفرق بين عظمة الله إذا دفع الشاب للإيمان به ، وبين عظمة رجل التاريخ
إذا دفع الشباب لقراءة سيرته . وفوق بين طريق الهداية في هذه الحياة الذي هو
من وحى رب العالمين الذي لا إله إلا هو ، وبين ذلك الطريق الذي وضعه
الإنسان على أنه مسلك الإنسان المؤدب المهذب .

أيها الأمهات ، أيها الآباء : تعفون بناشئكم في صغره وتقر أعينكم بنموه
الجسمي فتزداد عنايتكم بهذا الجانب فيه ، حتى إذا دفعتم به إلى المدرسة أخذ
تحصيل المعرفة على نحو ما رسم فيها : جزءاً من هذه العناية ، حتى إذا وصل هذا
الناشئ إلى مرحلة للراحة أو مرحلة الشباب واجهتكم مشاكله ، وهي مشاكل
ناشئة عن تذبذبه من الطفولة والرشد : ينمو جسمه في سرعة ، وكثيراً ما يبطئ
في تحصيله المعرفة . يهرب من المجتمع ويتهيب الحياة ، أو يستهتر بها وبقوانين
أمنه وجماعته . وحلكم لئن هذه المشاكل إما الضفط عليه مرة ، أو تركه مرة
أخرى ، وإما معاملته بقسوة مرة ، واستجداؤه مرة أخرى . وهكذا في مرحلة
شباب أولادكم ، حياتكم غير مستقرة : اطمئنان وفزع ، وخوف وأمل ، وإصرار
وندم .

ولو أنكم يوم عنيتم ببدنه وهو ناشئ ، عنيتم بروحه ونفسه ، وأنتم ذمتم له

من أنفسكم مثلاً صالحاً يرقب الله في عمله ويتصوره في سلوكه لوجدتم فيه ناشئاً
يتقظ فيه الإحساس بالله .

ولو أنكم بعد ذلك قصصتم عليه شيئاً من سيرة الرسول عليه الصلاة
والسلام ، ثم رسمت له مدرسته طريقاً إجمالياً لهداية الله لوجدتموه في مرحلة
شبابه يسير بقوة الشباب في طريق الراشدين . ويومئذ لا تكون له مشاكل ،
ولا تكون حياتكم من أجله لحظات مختلفة ، ولا تكون نفوسكم بسببه موزعة
بين أحاسيس متناقضة .

« كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ..
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا » . . .

التدين وأثره في المجتمع

اساس الاسلام نقاء القلوب وصفاؤها :

ابتدأت رسالة الإسلام في المجتمع الإنساني بربط الإنسان بأخيه الإنسان ، وإيجاد علاقة من التماسك بينهما ، تقوى وتزيد حسب قوة الإيمان في نفس المؤمن . وأول صورة لهذا الربط والتماسك تنقية النفوس من الغل والحقد والغش والخداع . يقول الرسول عليه الصلاة والسلام أنس فيما يروى عنه : « يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس في قلبك غش لأحد فافعل ، قال أنس : ثم قال لي : يا بني وذلك سنتي ، ومن أحيا سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة » . فالرسول حريص كل الحرص على أن تصبح النفوس وتمسى وليس في نفس منها شيء من الغش والخداع لانسان آخر . لأنه إذا ضعف معنى هذا الحقد والغش والخداع في النفوس ضعفت أسباب الخصومة بينها ، وبرز مكانها مجال المودة . والمودة مظهر أولى لإدراك معنى الإخاء الإنساني ، والاشترك في هدف واحد ورسالة واحدة .

وعن إدراك معنى الأخاء والاشترك في الهدف الواحد يتبدىء المجتمع ويظهر وجوده . ولكن لايتأكد وجود المجتمع ويقوى إلا إذا انتقلت النفوس البشرية في خطوة أخرى ؛ تجاوزت بها محاولة إضعاف الحقد والغش والخداع .

هذه الخطوة الأخرى خطوة إيجابية في بناء المجتمع وتكثيره ، هي — بعد أن يدرك الإنسان علاقة الأخوة بينه وبين إنسان آخر — أن يجب له ما يجب لنفسه يروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

أي لا يبلغ أحدكم مبلغ الايمان الكامل ؛ إلا إذا عرت نفسه بمحبة أخيه الانسان

فإذا وصلت علاقة الانسان بالإنسان في المجتمع البشرى إلى هذا الحد من المحبة تلاققت النفوس فيه ، فأصبح كل واحد الآخر كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضا . فإذا انتقلت العلاقة بعد ذلك إلى المعاونة ثم إلى الاحسان والبر ، عندئذ تبلغ الجماعة أشدها في القوة ، ونصل إلى آخر مظهر لها في التكتل . يروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه يقول : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .
والدين عن طريق الايمان بالله هو الذى يوصل المجتمع إلى هذه الدرجة من القوة والتكتل . ولا تبلغ مبادئه في ذلك الخدمات الاجتماعية ، أو إيقاظ الوعي الجماعى عن طريق المدرسة والتفاهة الانسانية المشتركة .

وجانب آخر من جوانب أمر التدين في المجتمع هو أن صفاء النفوس ، ومحبة بعضها البعض ، ومعاونة بعضها لبعض - يندفعها إلى الرضا بحظ كل إنسان في الحياة ، وعدم مسخط طبقة على أخرى . يقول الله تعالى . « وَهُوَ الَّذِي جَمَعَكُمْ خَلْقًا مِنْ دُونِ الْأَرْضِ ، وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ، لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ (١) » .. ويقول جل شأنه : « وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ ، لِمَا كَتَبْنَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأُخْتَارُوا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (٢) » .

ومجتمع يقوم أساسه على المحبة بين أفراده ، وعلى عدم التناق والاضطراب في العلاقات بينهم - مجتمع صان نفسه من التدهور والانحلال . وقد كان ذلك شأن الجماعة الإسلامية الأولى . ولذلك أمتن الله على المسلمين بقوله : « وَأَوْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣) » .

(٢) النساء : ٢٢

(١) الأنعام : ١٦٥

(٣) الأنفال : ٦٣

الضمير الديني واثره في الاتحاد والشعور بالجماعة

يروى مسلم عن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « المؤمنون كرجل واحد ، ان اشتكى عينه اشتكى كله ، وان اشتكى راسه اشتكى كله » .

فالرسول عاياه الصلاة والسلام يصور الجماعة المؤمنة ، وما يجب أن يكون عليه وضعها بأذه:

- ١ - يجب أن يشعر أفرادها : بعضهم ببعض ،
- ٢ - وأن يعمل بعضهم لبعض ، لأجل مصلحتهم جميعاً ،
- ٣ - حتى إذا تخفف عمل الأفراد للصالح العام ، وهو صالح الجماعة ، كان المؤمنون عندئذ كرجل واحد ، يتجاوب أعضاء جسمه مع بعض ، إن لحق ألم بعضهم منها .

المرحلة الأولى :

فشعور الأفراد بعضهم ببعض الأساس الأول في قيام الجماعة . وهو أول ظاهرة عملية لإسلام المسلم ، وإيمانه برسالة الإسلام . إذ رسالة الإسلام في حياة الفرد تتبدى ، بتقله من سيطرة الشعور الفردي عليه وطغيان الأنانية في تصرفاته إلى إنسان جماعي ، يشعر بوجود الآخرين معه ، ويبادلهم الإحساس بواجباته نحوهم ، وبحقوقه من قبلهم .

فمن بقي في دائرة عمله الفردي لمصلحته وحدها - لم يتذوق بعد حلالة الاعتقاد بالإسلام ، وإن انتسب إلى جماعة المسلمين ، وأعلن القيام بفروض الإسلام . وواجباته .

١ — فن كاد للغير ، أو وثى به ، أو تأمر عليه بدافع الحقد أو المنافسة الرخيصة أو لتحقيق مصلحة شخصية — بعيد عن الإحساس بالإسلام وتذوقه .

عن أنى رزة الأسلمى رضى الله عنه — فى روىة أبى ذورد و الترمذى — أن رسول الله ﷺ صعد المبرفنادى بصوت رفيع : « يا معشر من اسلم بلسانه ولم بفض الایمان الى قلبه : لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من اتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله » .

ويقول الله جل شأنه : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً^(١) » . ويقول سبحانه وتعالى لرسوله الكريم : « ولأتلع كل حلاف مهين . همأز مشأ بنميم . منأع للخير معتد . أؤيم . عتل بعد ذلک زئيم . أن كان ذأ مال وبنين^(٢) » .

(ب) ومن خدع الغير باسم الدين ، وباسم الإنسانية ، أو العلم والتوجيه لبولوج هدف شخصى — بعيد أيضاً عن الإحساس بالإسلام وارتباطه به ارتباط المعتقد به : مثلاً من صلى ، أو زكى : أو حج ليتستر وراء صلاته ، أو زكاته ، أو حجه ، ومن باشر مداواة الغير باسم الإنسانية ليحترف بمداواته إياه ، ومن شارك فى رعاية الفقير والضعيف ليتجر بهذه المشاركة فى الرعاية ، ومن نصب نفسه لتوجيه الغير فى دينه أو دنياه كى يصيب بذلك مغنماً مادياً أو جاهاً ومنزلة — كل هؤلاء بعيدون عن الشعور بحقيقة الإسلام فى نفوسهم ، وهم أنانيون ، يعملون لأنفسهم فقط ، ولسكنهم توسلوا بوسائل من شأنها أن تحمل الناس على قبول المعاملة معهم والثقة بهم .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه :

١ - رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار .

٢ - ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم ، وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقل عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار .

٣ - ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال ما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل حسب أن ينق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار .

(ج) ومن ابتعد عن أولاده الصغار أو الكبار ، وحرّم صغارهم من رعايته وكبارهم من عطفه الأبوي ، ليحقق لنفسه متعة شخصية بامرأة أخرى - لم يخاطب الإسلام روحه ، ولم ينفذ إلى دخيلة نفسه . فهو أشبه بذلك الذي رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط فيه بغير علم : لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقاً . ومنزله أخبث المنازل عند الله - كما جاء في رواية الترمذى عن الرسول ﷺ .

فأول ظاهرة لإسلام المسلم إذن أن يشعر الإنسان المعتد به بالجماعة . وشعوره بالجماعة يقوم أولاً وقبل كل شئ . على أن يخفف من سيطرة مصلحته الشخصية ، على أفعاله وتصرفاته ، ويحمل فعله وتصرفه شركة بينه وبين جماعته : لا يعين مصلحته الشخصية .. ولا يهضم حق جماعته . وجماعته : من عداه من أقاربه وجيرانه ومواطنيه .

أول ظاهرة لإسلام المسلم : أن يتمنى لغيره ما يتمناه لنفسه من خير ، أو دفع أذى . فهذا التمنى منه وإن كان أمراً نفسياً لكنه يحول في واقع الأمر دون أن يتسبب هو نفسه في إيذائهم بلسانه أو عمله ، وعدم إيذاء الغير باللسان أو الفعل

خطوة تساعده في حياته على أن يكون معه موجهاً لغير نفسه وأهله ، بدلا من أن يوجهه لمكافئة الأيذاء الذي يناله ، سواء أكان إيذاء القول أو إيذاء العمل .

المرحلة الثانية :

لم يقف الإسلام في تكوين الجماعة وبنائها عند حد أن يبتلى أفرادها عن الأذى ، أو عند حد أن يتمنى بعضهم لبعض الخير أو زوال الشر ، بل دفع المسلم - خطوة أخرى في تنويع شعوره بالجماعة - هي خطوة العمل الإيجابي لصالح الأفراد الآخرين ، وهو صالح الجماعة نفسها .

يقول الله تعالى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ^(١) » . « وَقُلْ أَعْبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ^(٢) ... » ، « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا .. » فوجه المسلمين أن يكون نطقهم بالتي هي أحسن ، وأن يكون عملهم تعاونا على البر والخير ، واتقاء لما يضر ويؤذي . ويقول سبحانه جل شأنه أيضا : « وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالسَّائِلِينَ ، وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجَنْبِ ، وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ . وَإِنِ السَّبِيلَ ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ^(٣) .. » فقرن جل شأنه الإحسان إلى هؤلاء جميعاً - وهم أفراد جماعته في واقع الأمر - بعبادته وحده ، وجعل البر إليهم وهو عمل الخير صورة من صورته في منزلة الإخلاص في عبادته ، وعدم إشراك غيره في العبودية .

ويروي عن الرسول ﷺ أنه يقول : « انما الدنيا لاربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعِلما ، فهو يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم الله فيه حقا ، فهنا بأفضل المنازل » .

إذا عمل الإنسان المسلم لغيره إذن ، وخرج بإيحيائه من دائرة التقي إلى دائرة العمل لصالح جماعته ، كان ذلك منه آية واضحة على طاعته لتعاليم الإسلام ، بجانب شعوره به كعقيدة .

(٢) الاسراء : ٥٣

(٤) النساء : ٣٦

(١) المائدة : ٢

(٣) البقرة : ٨٣

المرحلة الثالثة !

فإن آثر الخير على نفسه ، وفضل الصالح العام لجماعته على صالح نفسه الخاص ، وبذل من عمله أو ماله ، وجاهه ، وعلمه في سبيل وطه وأمه أكثر مما يبذل لرفاهيته ومتعته الخاصة — ارتفع شعوره بالجماعة إلى مستوى يصير المؤمنون فيه كرجل واحد ، إن اشتكى عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله ، عندئذ يصبح حبه لله وبنضه لله ، وإعطاؤه لله ، ومنعه لله .. عندئذ يصبح عمله خالصاً لا يتنقى به سوى وجه الله . عن أبي أمامة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال :

« من أحب لله ، وابقض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان » .
وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً ، وابتغى به وجه الله » .

وهذه الدرجة من الشعور بالجماعة لا تكون إذن إلا لمن تيقظ في قابه الوعى بالله ، وتمسكن من نفسه الإيمان به ، فأصبح لا يرى نفسه هدفاً في الحياة ، بل الهدف هو خير الناس ، هو خير جماعته . ومن تيقظ في قلبه الوعى بالله إلى هذه المنزلة هو ذلك الذى تكوّن عنده الضمير الدينى ، يدفعه إلى اتجاه واحد : هو الله . ومن أتجه إلى الله وحده عمل حتماً لجماعته ، ومن عمل لجماعته كان الإنسان المهذب الرشيد .

الضمير الديني وأثره في تكوين الأسرة كجماعة

يروى أبو هريرة رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« تنكح (أى تتزوج) المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ،
ولدينها ، فاظفر بذات الدين ، تربت يداك » .

أى الدافع إلى الصلة الزوجية بين الرجال واحد من هذه العوامل الأربعة :
إما المال ، أو الحسب ، أو الجاه ، أو الجمال ، أو الدين . ولكن الذى يجب أن
يحرص عليه الرجل هو عامل الدين فى اختيار زوجته . وإلا عاقبة الزواج
تؤول إلى اضمحلال وفساد ، بدل أن يكون انسجاماً ما بين الطرفين وحياة
منتجة . ويروى أبو حاتم المزنى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه (زوجته) إلا تفلوه تكن
فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

فنصح أولياء أمر المرأة وأصحاب الشأن معها أن يفضلوا المتدين صاحب
الخلق الحسن من الرجال عند اختيار الزوج لعزيمتهم - أن يفضلوه على من
تكون له صفة أخرى من شأنها أن ترغب الناس فيه كالجمال ، والجاه .. ونحو
ذلك من الصفات العارضة والمؤقتة .

* * *

سبيل تكوين الأسرة : الشعور المشترك :

الأسرة فى نظر الإسلام هى أول صور الجماعة ، والزواج طريق تكوينها .
ولا تكون أسرة إلا حيث يشعر الطرفان بالحياة المشتركة بينهما ، ويدرك كل
منهما أن هذه الحياة تجاوب بينهما ، تدور فى إطار واحد ، ويساند أحد الطرفين
الآخر فى استمرار حركة الحياة المشتركة ، وزيادة نشاطها ، وتوجيهها نحو غاية
واحدة .

فإذا لم يبدأ الشعور بالحياة المشتركة بين الاثنين فالأسرة لم تتكون بعد ،

وإن تشابكا في الميثية واختطا في الجوار، لأن مثل هذه الأسرة لاتمثل عندئذ معنى الجماعة . إذ هنا عندما ينتقى معنى الجماعة في الأسرة لا يكون أحد الطرفين سكناً للآخر يطمان إليه ، ولا تسكون بينهما مودة نفسية ، ولا رحمة متبادلة على نحو ما جاء في قول الله تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (١) » .

وهذه الزيجات التي لا يتكون منها الشعور بالحياة المشتركة بين الطرفين هي تلك الزيجات التي اجتمع فيها الطرفان لغاية أخرى وراء الزواج لذاته : كأن تكون غاية الزوج الاستمتاع بجاه الزوجة ، أو مالها أو جمالها ، دون صلاحيتها للحياة المشتركة كزوجة وأم ، وكماونة .. أو تكون غاية الزوجة الإفادة من مال الزوج ، أو شبابه ، أو جاهه ، دون صلاحيتها لهذه الحياة المشتركة كزوج له كرامته ، ورجولته ، وإنسانيته وخالقه ، وسعديه الجدى في الحياة وكسئول متمرس على الكفاح من أجل بقائه هو ، ومن أجل بقاء من يحمل مسئولية وجوده معه .

فكل طرف من الطرفين في مثل هذه الزيجات ينشد شيئاً آخر وراء الزوجية . فإذا فقد هذا الشيء الآخر المنشود ، أو ضعف أثره في الإغراء بتوحيدها ومصاحبة بعضها بعضاً في الظاهر - بدأ تفكك الزيجة يتضح ، وبرز للعيان ما بين الطرفين من فجوة وعدم انسجام ، واتجه كل واحد منهما إلى الخلاص النهائي من الآخر بوسيلة أو بأخرى ، كريمة أو غير كريمة - وكثيراً ما تكون غير كريمة - وتحول الوقت منذ أن نفذت الغاية من توحيدها ، أو منذ ضعف العامل على هذا التواجد حتى فرقتها النهائية - تحول هذا الوقت إلى قلق نفسي ، واضطراب في حياة كل منهما .

والرسول عليه الصلاة والسلام عندما ينصح بتركيز عنصر الاختيار عند الزواج سواء في جانب الرجل أو جانب المرأة : في التدين والخلق الكريم دون

شئ آخر بعد ذلك : من مال ، وجاه ، وجمال ، وشباب يبغي فقط النصح باتباع
الوسيلة الصحيحة في تكوين أسرة ، وجماعة من الزواج تكويماً سائماً ، حتى
لايستحيل هذا الزواج بعد قليل من الزمن إلى اختلاط ، هو تفكك أقرب
منه إلى الانسجام .

التدين عامل إيجابي في إيجاد الشعور المشترك :

والإسلام هنا كدين لايتجيز للمتدينه أو المتدين وصاحب الخلق ، إذا نصح
بتفضيله أو تفضيلها في الاختيار في الزواج . وإنما يكشف بهذه النصيحة
للإنسان — كوجه له — عن أمر لا بد من الكشف عنه في النصيحة : وهو أن
التدين عامل إيجابي في الألفة والانسجام ، والتآزر والتساند . فهو ليس رسماً يؤدي ،
أو شكلاً يسعى إليه ، بل هو إيمان ، إيمان بمثل وقيم في الحياة ، وليس من بينها
المدل ، والجاه ، وعرض الدنيا . بل في مقدمتها : الإنسانية في المعاملة والتهديب في
السلوك ، وتقدير الإنسان لذات الإنسان وابتغاء الإخاء في الله . والحياة المشتركة بين
الأتين اللذين تزوجاً لاتفردوا إلا في ظل هذه المثل والقيم ، ولا تحطمها إلا الغايات
الأخرى التي أشرنا إلى أمثلة منها ، ونضمنها الحديث النبوي الشريف .

نعم قد يؤول التدين إلى حرقة أو مظهر ورسم . ومن أجل ذلك ربما لانفهم
فضله في جانب المرأة أو جانب الرجل عند الزواج . ولكن التدين في واقع أمره
ليس هذا : هو التهديب الإنساني في أوضح معاني التهديب وأكمل مظاهره ،
الصادر عن ضمير وإعداد نفسى لله وللمثل السليما . ثم لايفرق في واقع الأمر بين
إنسان وآخر — ذكر أو أنثى — إلا بأن أحدهما أصبح مهذباً في سلوكه ، والآخر
بقي في بدايته أو حيوانيته الأثرى . إذ المعنى الإنساني في الإنسان طارىء على
الطبيعة الحيوانية فيه المشتركة بينه وبين غيره من نوع الحيوان الآخر . فأى إنسان
صار إلى الإنسانية فهو ذلك الذى يجب أن يفضل ويختار في المعشرة والمعاملة ،

لأنه الإنسان الذي تميز عن الحيوان ، فهو يتجه في الحياة اتجاه الإنسان المكرم ، في سبيله وحده ، أو في سبيله مع غيره .

الزواج في الإسلام ليس صفقة :

ولم ينظر الإسلام إلى الزواج كأساس لتكوين الأسرة ، على أنه صفقة بين طرفين يجب أن يتعادل فيها الربح والسكب المادى بينهما ، وإنما ينظر إليه على أنه ترجمة عملية لرغبة نفسية صادقة تكونت بعد امتحان دقيق لتقدير كل منهما للآخر ، على أنه إنسان مهذب .

والمهر الذي قرره الإسلام ليس ثمناً لسلمة ، بل اعتباره ووزنه إنما في تيسير وضع الزواج فقط . وليست له قيمة ذاتية إلا أنه يدل على رغبة الرجل في الزواج ، وعلى تأكيد أنه الطرف الطالب في الزيجة المتوقعة . ولذلك يكفي في مسمى المهر بعض الدراهم ، أو تقديم بعض الخدمات الثقافية والتعليمية مثلاً للزوجة ، وقد كان ذلك الشأن في الحياة الإسلامية الأولى .

إنه نحلة ومنحة من الرجل قصد بها تأكيد حياء المرأة ، وجعلها مطلوبة ، بدلا من أن يكشف عنها ستار طبيعتها فتبدو طالبة . إن الإسلام بتقريره المهر على هذا النحو يدل على أنه نفسه دين الروعة والخلق المهذب . إن المرأة يجب أن تتوفر لها الحياء والخفر ، حتى تبقى سيدة ذات عزة تقس ، وتبقى معها عواطفها لا تمتهن ولا تستذل . وذلك لا يكون إلا إذا وصى غيرها وهو الرجل على أن يكون طالباً لها ، وساعياً في سبيلها .

إن المهر رمز لهذا السعى وليس ثمناً . إنه حجاب وستر على حياء المرأة . إن الانثوية في الحياة الطبيعية بين الذكر والأنثى تدل على تفاعل بين الاثنين ، وتدلل على أن الطرف القابل منهما صاحب الخطوة الأولى في اللقاء : فالزهرة في النبات تفتتح لاستقبال عنصر الحياة من حامله . والحيوان الأنثى يعين بلفته الصوتية على

اللقاء بالآخر . وهذا وضع ينبو عنه ذوق الإنسان المهذب ، لو طلب تطبيقه بين الذكر والأنثى فى الحياة الإنسانية ، فتجلى المرأة على أن تكون طالبة الزواج بالرجل ، وليس هو الحرص على ذلك .

إن الضمير الدينى عامل له كفائته فى إشعار الزوجين بالحياة المشتركة بينهما ، وعامل له كفايته أيضاً فى إبعاد الزواج عن الانحراف عن غايته كأساس لأسرة وجماعة ، وطبل له كفائته أيضاً فى حياة الاطمئنان والسكنى والانسجام . وهنا فهم قول الرسول الكريم : (فاطلر بذات الدين ، توبت يدلك) . . . و « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانسكوه [أى زوجته] إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض أو فساد كبير » .

إن الاضطراب الذى يحصل فى حياة الزوجية يرجع إلى الانحراف عن نظرة الإسلام إلى الزواج ، يرجع إلى الرغبة فى الدنيا وتمتعها وحدها . والدنيا فى طبيعتها قلقة مضطربة لأنه لا يؤمن جانبها ، وكذلك شأن من يوليها السعى ويمجد فى الحرص عليها .